

كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت، في الجلسة الافتتاحيّة لمؤتمر "فاروس" Pharos، في ٠٦ كانون الأوّل (ديسمبر) ٢٠١٧، في الساعة الخامسة من بعد الظهر، في حرم العلوم الإنسانيّة - قاعة المحاضرات.

أرحّب بكم ترحيبًا حارًّا، أصدقاء مرصد "فاروس" Pharos الأعزّاء، في هذا المؤتمر الذي كان يتمّ التحضير له منذ فترة طويلة، منذ اليوم الذي وقّعنا فيه تعاوننا وحتىّ قبل هذا التوقيع الشكليّ. مع "فاروس" Pharos، وهو مصطلح يونانيّ، يُرجع صدى لاتينيًّا، إعتدتم رمزًا يحمل دلالات كثيرة وغنيّة، فكلمة "فاروس" تعني المنارة، أي مصدر ضوئي كبير كالمصباح أو العدسة الضوئيّة، نراه من مسافة بعيدة، وهو عبارة عن برج يبعث الضوء. مرصد "فاروس"، كمؤسسة ومرصد، يتبع نهجًا مستقلًّا وروحًا حرّة من أجل تحليل التعدديّة من خلال وضع الحقائق الثقافيّة والدينيّة في سياقها وفي خدمة الجهات الفاعلة على الأرض والمؤسّسات العامّة أو الخاصّة. الهدف من مرصد "فاروس" وطريقته يكمنان في فهم الأزمات الحاليّة والصراعات المعاصرة التي تتخبّط بمشاعر قويّة تتعلّق بالهويّة وحالات العنف الشديدة التي تكشف عن الطابع الدائم والعميق لآليات التجزئة الفاعلة في العولمة.

نحن كجامعة، كجامعة القديس يوسف، لا يسعنا إلا أن نشارك في وضع الأمور في سياقها والتفكير حول التعدديّة، وهي مساهمة حاسمة في عمليّات يقوم بها المرصد اليوم من أجل التخفيف من حدّة الصراعات.

إلا أنّ معالجة هذه المشكلة في سياق العودة العدوانيّة إلى الهويّة ليست بهذه السهولة. لأنّ المشكلة تأتي من واقع أنّ العديد من الأزمات، بالإضافة إلى الإنكفاء على الهويّة، تتسم بقوة ببصمة المقدّس الذي يفرض نفسه كعنصر أساسيّ من عناصر الهويّة. هذا المقدّس، ولنقرّ بذلك، يبدو متمرّدًا على التحليل الاجتماعيّ وحتىّ الإداريّ. فالمقدّس يجد صعوبة في أن يُعتبَر كظاهرة يمكن تحليلها، وإعادة النظر فيها في جميع الاتّجاهات، والنظر إليها بموضوعيّة واعتبارها "شيئًا". هناك في العمق رفض لهذه الطريقة، حتىّ لو تمّ تطبيقها وأدّت إلى دراسات واتّجاهات نحو التغيير. إلا أنّنا لاحظنا القليل من التغيير الحاصل من جرّاء هذه الدراسات. في مساحتنا الجغرافيّة العربيّة الإسلاميّة، من المهمّ أن نقول إنّ الدين، باعتباره مظهر من مظاهر المقدّس، سواء كان مسلمًا أو مسيحيًّا، هو بعدد قوويّ من أبعاد الواقع، وإنّ هناك صعوبة حقيقيّة في التمييز بين ما هو دينيّ وما هو اجتماعيّ وسياسيّ؛ هذا هو ما تتسم به صلابة الأيديولوجيات التي تتبنّى الخوف ونبذ الآخر كنقطة

مركزية لاستراتيجيتها الاجتماعية والثقافية. وهي لا تتورع في إثارة العنف الأكثر فتكاً بالأرواح من أجل حماية نفسها ونشر رؤيتها للعالم أيضاً. لقد تبين لنا الأمر مؤخرًا في حالة دولة الخلافة الإسلامية فهي على الرغم من أنها اختفت، تترك معتقداتها الإمبريالية حية وتدعو إلى تدمير ما هو آخر أو مختلف في عالم تاريخ الإنسان وحاضره.

في مواجهة هذا الواقع، العمل على فهم الأزمات والصراعات المعاصرة يمكن ان يشكل إسهامًا حاسمًا في عمليات التهدئة والتخفيف من حدة الصراعات. ونقول إنه لأمر جيد أن نعمل من أجل التهدئة والسلام، ولكن لا يجب أن تكون هذه التهدئة المرحلة التي تهتئ إلى حرب جديدة واندلاع آخر لحالات العنف. وعلاوة على ذلك، تجدر الإشارة إلى أنه، من خلال ظهور الهويات، حتى المتضاربة والمتصارعة، على طريقة صموئيل هاتينغتون Samuel Huntington ، العلاقة مع الآخر هي التي تصبح النقطة المركزية في مسار التاريخ، والديانات نفسها لا تتردد في جعل هذه العلاقة عنصرًا أساسيًا بين المسائل الوجودية التي تطرحها على نفسها.

لا يسعني، في هذا النص الذي يبغى الترحيب بكم وتمني النجاح لمؤتمركم، أن أبحث عن أسباب هذا الوضع الذي لا يمكن تحمله، وهو مليء بالتباينات لا بل بالتناقضات. هل السبب يكمن في إذلال الشعوب من خلال الاستعمار، أو الخوف من تراجع التاريخ الخاص بهذه الشعوب، والشعور بكونها على هامش التطور وعدم القدرة على الاندماج في دينامية الابتكار والتقدم؟ هل هو الشعور بأن الدين الذي نعتقه، بماضيه المجيد، هو الأفضل، وأن العالم، بطيب خاطر أو رغماً عنه، يجب أن يقرب به ويعتقه؟ هل لأن عالمنا في الشرق الأوسط، وخاصة العالم الإسلامي، يفتقر إلى تجربة الحوار، وبالتالي قبول كلمة الآخر، حتى لو كان مختلفاً عنه؟ هل هو خطأ الديانات التوحيدية التي تنمي صورة مشوشة عن الله الذي يحب ويبغي السلام والذي غالباً ما يتوعد بالانتقام والعنف؟

نلاحظ جيداً أنّ مهمة الرصد والتشخيص من أجل فهم خرائط الطرق وإقامتها لا يمكن أن تقتصر على الملاحظات السطحية أو على بعض الإعلانات المهدئة أو على دعوات لوقف إطلاق النار. في رأيي، يتوجب علينا أن نذهب أبعد من ذلك إذا أردنا تعزيز حرية الضمير والتعددية وأن نقوم بعمل ثلاثي التوجهات :

- المراقبة من أجل فهم وتحليل الأسباب الهيكلية التي تمرّ عبر التاريخ وتثير العنف،
- عمل يرافقه حافظ ملزم وسياسي لمراجعة النصوص المقدسة وإعادة تفسيرها، وفقاً لأولوية العلاقة القائمة على احترام الآخر،

- عمل يقترن في حدّ ذاته بالتعليم وتنشئة الوعي لدى كلّ شخص يجب أن يعترف بالآخر على أن يعترف به هذا الآخر.

وأحدّد مرّة أخرى أنّ ما نقوله يدخل حيّز التفكير بالطبع، وليس أيّ خطّة عمل توضع موضع التنفيذ.

أنا أعلم أنّ لديكم هواجس أكثر إلحاحًا وأقرب بكثير من ميدان العمل ولا سيّما العمل السياسيّ ويجب الإحاطة بهذه الهواجس. وأنا، إذ أشكر جميع الأشخاص الذين عملوا وما زالوا يعملون على هذا المشروع، أتمنّى التوفيق لمؤتمركم الذي لطالما انتظرناه.